

## الإخوان المسلمون وحديث المنتديات

### الفكرة والرجل

معظم ما كتب عن جماعة الإخوان المسلمين يقفز مراحل مهمة من تاريخها ليبدأ بسعي الإمام الشهيد في مدينة الإسماعيلية (الواقعة على شاطئ قناة السويس) للدعوة عام 1928 وتكوين الجماعة، غافلا عن حال الأمة الإسلامية والقطر المصري الذي نبتت فيه ظاهرة حسن البنا ونبتت معه جماعة الإخوان المسلمين، وحتى لا نصادر على أحد ما يريد قوله فلن نردهم فقط إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود برواة كلهم صحاح وجاء فيه: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) .. وهو ما يعتقد الإخوان المسلمون أن حسن ابن عبد الرحمن البنا قد هيأه الله سبحانه وتعالى لهذا التاريخ ليكون هو المجدد، .. ونردهم إلى ما تغافل عنه الكثيرون هو حال العالم الذي أفرز جماعة الإخوان المسلمين وأحواله التي عاشها الإمام الشهيد مع بدايات تكوينه وكانت تدفعه وجماعته إلى أن يبادرا أو يبادر غيرهما إلى رفع راية لتجديد دفق هذا الدين كعقيدة وشرعية ونظام حياة بعد أن كادت حقيقة الدين الحق أن تغطي عليها أحداث بشرية كونية حظيت بتأريخ ودراسات لم يعط تأثيرها من كتب عن جماعة الإخوان المسلمين حقها من الربط والإيضاح، ونشير إليها إشارات سريعة:

### أولا: الحرب العالمية الأولى (العظمى) 1914 - 1918

وهي التي بدأت حينما قامت إمبراطورية النمسا والمجر بغزو مملكة صربيا إثر حادثة اغتيال ولي عهد النمسا وزوجته من قبل طالب صربي أثناء زيارتهما لسراييفو، وكانت حربا أوروبية خالصة شاركت فيها فرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا، وشكلت نهاية الأرستقراطيات والملكيات في أوروبا.

ولم تسلم تركيا (دولة الخلافة العثمانية) من هذه الحرب رغم أنها لم تكن فيها لا القاتل ولا القتيل، وجاء قدرها بالمشاركة عندما قام ضباط ألمان كانوا قد انتسبوا إلى البحرية التركية بمهاجمة أحد الموانئ الروسية دون أمر من القيادة التركية التي سعت إلى إعلان براءتها من هذه الحادثة وفشلت، فأعلنت روسيا الحرب على تركيا وبدأت مشكلة المواطنين الأتراك الأرمن في الظهور عندما انحازوا إلى الروس ضد بلادهم، ولم تلبث تركيا طويلا فلحقت بالإمبراطوريات التي أنهت عليها هذه الحرب وهي الألمانية والهنغارية والروسية.

ولم تسلم مصر وبعض الأقطار العربية الإسلامية التي كانت معظم شعوبها تشعر بالولاء لتركيا ولها معها ارتباطات وثيقة رغم الاستقلال السياسي عنها من آثار هذه الحرب، وجاءت الصدمة الكبرى لها عندما اتفقت بريطانيا فرنسا على اقتسام تركة الرجل المريض في الاستانة (اسطنبول) بما يعرف باتفاقية سايكس بيكو.

### ثانيا: اتفاقية سايكس - بيكو 1916م

هذه الاتفاقية كانت تفاهما سريريا بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاموي الإمبراطورية العثمانية المسيطرة على هذه المنطقة، وتم التوصل إليها بين شهر نوفمبر / تشرين ثاني 1915م ومايو / أيار 1916م بمفاوضات سرية بين وزيرى خارجية الدولتين وتبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصيرية آنذاك وتم الكشف عنها بوصول الشيوعيين إلى الحكم عام 1917م مما أثار الشعوب التي تمسها الاتفاقية وتسببت في حرج لفرنسا وبريطانيا وجاءت ردة فعل الشعبية الرسمية العربية المباشرة عقب ظهور مراسلات (حسين - ماكماهون) والتي تفاوض فيها الشريف حسين بن علي مع الوزير البريطاني ماكماهون حول منح بريطانيا العرب دولة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية، والشريف حسين هو الذي أطلق أول رصاص على القلعة التركية في مكة المكرمة لتبدأ معها الثورة العربية.

وحسب هذه الاتفاقية فقد حصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعا بالاتساع شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج الفارسي / العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا، كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا

وروسيا، ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا وأن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل حق استخدام ميناء الإسكندرونة التي نصت الاتفاقية على أن يكون في حوزتها وهو يقع في المنطقة التي تم ضمها إلى تركيا عام 1939م.

وبهذه الاتفاقية ترسخ الوجود البريطاني في مناطق جزيرة العرب والسودان والعراق إضافة إلى مصر التي احتلتها بريطانيا عام 1882م وجاءت وقفة الجنرال البريطاني اللنبي على قبر صلاح الدين في القدس عام 1918م وقولته المشهورة (اليوم فقط انتهت الحروب الصليبية) لتعطي للمشهد صورته الدرامية.

### ثالثا: الثورة البلشفية عام 1917م

وهي الثورة التي قادها لينين وليون تروتسكي بناءً على أفكار كارل ماركس وانتهت بالهيار الإمبراطورية الروسية وإعدام القيصر وجميع الأسرة الملكية، وبدأت تعاليمها تجد لها آذانا صاغية في العالمين العربي والإسلامي، بسبب تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية، وباستخدام لغة جديدة بشعارات جديدة تُرَّجَع فيها أوضاع الطبقة العاملة (البروليتارية) المقصودة بالنداء الشهير (يا عمال العالم اتحدوا) إلى التمسك بالقديم من العقائد وسيطرة الطبقات الرأسمالية الإقطاعية، وبسبب الاحتلال الإمبريالي الذي ينهب خيرات البلاد، وأثر الدين في دفع الطبقات المطحونة إلى الرضاء بالواقع .. وكان طرحها لمفهوم الأومية الذي يتضاد مع مفهوم الأمة عند المسلمين طرحا خادعا ومستفزا، ومع ذلك فقد وجدت الماركسية سبيلها إلى الشعوب مدفوعة بإمكانيات دولة وتيه ثقافي كانت تعيشه الأمة، وكانت قمة الاستفزاز التي حاول الماركسيون والمهزومون نفسيا إشاعتها وتثبيتها هي أن الماركسية أقامت دولة حديثة وعجز المسلمون عن إقامة مثلها.

### رابعا: ثورة عام 1919م في مصر

وهي أحداث هزت الشارع في القطر المصري كله ضد الاحتلال البريطاني وشارك فيها الشعب بشكل شبه كامل وبفاعلية مؤثرة سقط فيها الكثير من الضحايا، فلم يسلم بيت في مدينة أو قرية إلا ودخلته أحداث هذه الثورة التي أظهرت أن الاحتلال البريطاني لم يستطع أن يطفى نيران الوطنية وإحساس الشعب بكيانه، وقد أفرزت زعامات شخصية وقوى شعبية وأوقدت أمام الكثيرين من الأجيال التي عاصرتها مشاعل العمل للوطن وإن اختلفت اتجاهاتها إلا أن الدافع الديني كان حاضرا وبكل قوة.

### خامسا: انهيار الدولة العثمانية (سقوط الخلافة) 1924م

جاء دائما التأريخ بسقوط الخلافة عام 1924م في مسيرة جماعة الإخوان المسلمين وسيرة الإمام البنا مخلا بتأثير هذا الحادث على الأمتين العربية والإسلامية بشكل دفع أيضا إلى الإخلال بمفاهيم الأجيال التي عاصرتها وبدوافعها في العمل، فالحدث نفسه جاء بعد سلسلة من الأحداث كبيرة كانت تهمز الناس هذا داخل تركيا وخارجها وعملت على سقوط الدولة التركية صاحبة التاريخ في مسار الإنسانية كله وفي محيط أمتها وأقطارها التي ارتبطت بها لقرون بشكل أكبر، مما دفع الكثير من خلايا المناعة في جسد هذا المحيط إلى اليقظة والاستنفار ونشير فقط إلى تاريخ محاض بعض الأحداث على إيجازها لإيضاح الصورة:

- 1- الثورة الداخلية في تركيا عام 1908 بقيادة ضباط جماعة الاتحاد والترقي والتي انتهت بعزل السلطان عبد الحميد عام 1909م.
- 2- ما جاء في مذكرات تيودور هرتزل (1860 - 1904) عن السلطان عبد الحميد الثاني عندما رفض بيع فلسطين للحركة الصهيونية التي أسسها بمبلغ 150 مليون ليرة إنجليزية قوله: (لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي، وقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإقامة دمائمهم .. ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا).
- 3- الاضطراب السياسي الشديد الذي قاده مصطفى كمال بإنشاء حكومة في أنقرة عام 1920م بغير إرادة البرلمان ومشاركة الأسطول البريطاني في دعمه بإغلاق مقر البرلمان المنتخب الذي رفض خطوة مصطفى كمال.

- 4- توقيع معاهدة سيفر في باريس (10 أغسطس / آب 1920م) التي جاءت لتمزيق تركيا نفسها وازدياد قبضة مصطفى كمال على الدولة.
- 5- عزل السلطان وحيد الدين وتعيين السلطان عبد المجيد بدلا منه عام 1922م.
- 6- معاهدة لوزان 24 يوليو / تموز 1923م التي رسخت فيها سلطة مصطفى كمال.
- 7- 29 أكتوبر / تشرين أول 1923 إعلان الجمهورية مع بقاء منصب الخليفة الرمزي، والإعلان الشهير لصحيفة (أيلري) الناطقة باسم النظام الجديد في فبراير / شباط 1923 (إننا عازمون على أن ندوس بأقدامنا وننسف كل الموانع التي تذهب بنا إلى الشرق الذي ودعناه إلى الغرب الذي يضمننا، حتى إن التغريب لن يقتصر على شعوننا الرسمية وثوابتنا فقط، بل ستكون أدمغتنا وعقيدتنا أيضا غربية بحتة).
- 8- 3 مارس 1924م إعلان إلغاء منصب الخليفة (الرمز) نهائيا.

### سادسا: الحالة الثقافية في القطر المصري

الكاتبون والدارسون الجادون .. وغير المنصفين أيضا لم يعطوا للحالة الثقافية في مصر الثلث الأول من القرن العشرين حقها من التوضيح والتأثير وهو الثلث الذي خرجت فيه جماعة الإخوان المسلمين من رحمهم، وساهمت إفرزاته في تكوين مسارها ومسار الإمام الشهيد، ومرة أخرى نعود إلى الإشارة إلى أهم الملامح وبإيجاز شديد:

- 1- الهجوم على الجامعة الإسلامية من قبل الحركات القومية والنزعات التي أثرت بينها وبين القومية العربية والقوميات المحلية.
- 2- ردة الفعل تجاه حركة مصطفى كمال أتاتورك وبرنامجه التغريبي في تركيا والشعور بالفراغ بعد انكفاء تركيا على نفسها.
- 3- ردة الفعل تجاه أطروحات أتاتورك الثقافية الخاصة بفصل الدين عن الدولة والتي بدأت تجد لها تأثيرا بين الناس.
- 4- تناغم القصر الخديوي ثم الملكي مع هذه الطروحات رغم تطلع الملك فؤاد الأول ليكون هو البديل عن الخليفة العثماني للأمة الإسلامية.
- 5- نشوء فكرة جديدة عن الوطنية المصرية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تدفع بمصر باسم الفرعونية إلى الاستقلال الكامل عن محيطها.
- 6- محاولة البعض إيجاد خصومة بين الشرق والغرب على أساس ديني محض، أي إسلام ومسيحية ساهم فيها تصريح الجنرال البريطاني الشهير اللبي عند قبر صلاح الدين، كما ساهم فيها أيضا كتابات تقول أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام نفسه.
- 7- اغتيال رئيس الوزراء المسيحي بطرس غالي عام 1910م وانعقاد المؤتمر القبطي المصري في 5 مارس / آذار 1910م الذي اعتبر أن المسيحيين في مصر هم المستهدفون بهذا الاغتيال رافضا أن يكون السبب سياسيا وطالب بتحقيق بعض المكتسبات استنادا إلى الحماية البريطانية على مصر وقتها، ثم انعقاد المؤتمر المصري بعده بسنة في 29 إبريل / نيسان 1911م ردا على المؤتمر الأول.
- 8- النشاط المحموم لبعض مثقفي هذه الفترة في اتجاه الدفع بتقليد التجربة التركية والدفع إلى التمثل الكامل بالحضارة الغربية، ولعل أهم ملامح هذا النشاط ما أسهم فيه الشيخ علي عبد الرازق بكتابه "الإسلام وأصول الحكم" والأديب الدكتور طه حسين بكتاب "في الشعر الجاهلي"، ونستأذن القراء في الإشارة إليهما سريعا:

أ- كانت أهم مقولات علي عبد الرازق في كتابه الذي صدر عام 1922م متطابقا تماما مع أفكار مصطفى كمال في إنكاره وجود نظام حكم في الإسلام ذاكرا أن الرسول كان يحكم كرسول مرسل من الله سبحانه وتعالى، وكان يقوم بحل مشاكل مجتمعه عن طريق الوحي، والرسول لم يكن ملكا أو حاكما أو رئيس دولة، إنما أرسل ليبلغ رسالته للعالمين، وهي رسالة روحية خالصة وإذا وجدت سلطة بعد الرسول فهي سلطة مدنية وسياسية.

ب- في كتابه "في الشعر الجاهلي" عام 1925م يقول طه حسين أن الشعر الجاهلي لم يكن قبل الإسلام كما يظن الناس بل إنه جاء بعد الإسلام لأسباب سياسية ودينية، فبعد هجرة الرسول إلى المدينة نشأت عداوة بين مكة والمدينة اصطبغت بالدم يوم انتصر الأنصار في بدر، ويوم انتصرت قريش في أحد، فوقف شعراء الأنصار وشعراء قريش يتهاجون ويتجادلون ويدافع كل فريق منهم عن حربه ونسبه، إلى أن حدث فتح مكة فتوحدت قريش مع الأنصار، وتجراً على القصص القرآني فشكك في قصة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإقامته مع ابنه

إسماعيل قواعد البيت الحرام في مكة المكرمة .. ورحل الرسول ولم يضع قاعدة للخلافة ولا دستوراً للحكم لهذه الأمة التي جمعها بعد فرقة، فعدت هذه الضغائن على الظهور واستيقظت الفتنة بعد موتها إلى أن تم الحسم لقريش. وقد تصدى الأزهر لعلي عبد الرازق وسحب منه إجازته الشرعية، وقام طه حسين بإعادة إصدار كتابه مع حذف بعض المقاطع منه التي أخذها العلماء عليه وغير إسم الكتاب إلى "في الأدب الجاهلي".

9- تراث الاجتهاد الحضاري الإسلامي الذي قام به السيد جمال الدين الأفغاني ثم الشيخان محمد عبده ورشيد رضا الذي حافظ على وجوده بعض الشيوخ واقتصر جهدهم على الدفاع الفكري عن هذا التراث دون أن ينتقل إلى الأسلوب العملي لحفظه.

### سابعاً: حركة الإحياء الديني

تسارعت الأحداث في هذه الفترة الزمنية مع فورة العمل الوطني على أرض مصر الذي كان يجابه الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، ويجابه معها فريق ساعدته قوة الاحتلال على تسلم منافذ الثقافة والتوجيه وأحياناً السلطة التي تناوى الحاكم الذي يحظى بالشرعية أياً كان مصدرها وأياً كان مسماه، وبرزت جماعات شابة كرئيس الحزب الوطني مصطفى كامل الذي أشعلت خطبه وكلماته وتجربة حزبه التنظيمية حماس الجماهير، ولم تستطع زعامة سعد زغلول أن تزيحها من ساحة العمل، وما استطاع أحد أن ينسى انفضاض الناس عن الزعيم أحمد عرابي قبلهما عندما أدار ظهره للرمز في الأستانة، وتبلورت الساحة السياسية (تقريباً) في ثلاثة اتجاهات هي:

أ- الشعور الثابت عند الغالبية العظمى من الناس بأن الوسيلة للخروج من دوامة الأحداث هي الحفاظ على الجامعة الإسلامية باعتبارها الهوية الحقيقية للشعوب طوال قرون وبالعودة إلى منابع الدين الأولى.

ب- العمل على تحقيق الوطنية القومية المستقلة دون إدارة الظهر للدين.

ج- الاتجاه إلى الغرب واعتماد نظم الحكم فيه بإيجاباتها وسلبياتها وإبعاد الدين عن الدولة.

وأصبح لكل تيار رجاله ومناصروه ونشأت الأحزاب السياسية على أساس الاتجاهين الأخيرين، وبقي أصحاب الاتجاه الأول يعملون في إطار المسموح به وهو الجمعيات الأهلية، وترسخت الطرق الصوفية وجمعيات الإحياء الديني والتي حصرت نفسها في تصحيح العقائد والسلوكيات والعبادات تاركين السياسة للسلطان، وبقي أنصار العمل على أساس شمول الإسلام لكل مناحي الحياة محصورين في دائرة ضيقة من علماء أفراد، من داخل المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر) ومن خارجها، وكان أبرز هؤلاء العلماء الذي لم يغيب حضوره عن الساحة في هذه الفترة هو السيد جمال الدين الأفغاني الذي كتب في مقاله عن الوحدة الإسلامية (لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، فتعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة والسلطين في جنس واحد، وتنازع الأمراء على المسلمين جلب تفرق الكلمة وانشقاق العصا ..) واعتبر الرجل أن التعصب للوطن على حساب العصبية الدينية هي حط من قيمة هذه العصبية.

وبعد

فلم يكن من المتصور بل من المستحيل في ظل هذا الحراك الهائل الذي أنضج وعي الأجيال التي عاشته أن تظل راية العمل الإسلامية بشموله ملقاة على الأرض، وكان حتماً وبسنة الله سبحانه في الكون ثم بطبيعة الأشياء والدفع الإنساني أن تبرز جماعة يقودها إنسان ملأ هذا الفراغ .. فكان حسن البنا وكانت جماعة الإخوان المسلمين.

لم تقتصر الكتابات التي تناولت جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول على كتابات غربية وشرقية وماركسية ورأسمالية وإسلامية وعلمانية فقط، بل جاءت أيضاً من بعض من كانوا في داخل الجماعة وضاق بما فخرج عنها، ومن هو في الجماعة ولم يغادرها، ونجزم بأنه لا توجد جماعة أو هيئة أو تنظيم في عالمنا العربي والإسلامي قد تم وضعها تحت الضوء طوال الثمانين عاماً الماضية مثل جماعة الإخوان المسلمين حتى أن أسماء أفرادها مهما بلغ عددها لم تمل الجهات الراصدة من تسجيلها في ملفات خاصة هم وأقاربهم حتى الدرجة الرابعة (كإجراء إحتياطي أول قابل للتوسع) مع متابعة تفاصيل حياتهم من المهد إلى اللحد وتدرجها وحتى الزواج والطلاق والعمل والثروة والكسب والخسارة والتنقل، بما يوحي وكأن العالم كله قد أقام تحالفاً رغم ما به من تناقضات ليواجه هذه الجماعة التي انطلقت من رحم أحداث جسام، وفضلت اختيار طريق كان مطروحاً خلال هذه الأحداث بهدف النجاة بالأمة والإنسانية كلها من آثار هذه الأحداث، فإذا بها وقد

تقاذفها صانعو الأحداث وتوالوا عليها رغم تفرقهم، حتى جاء الزمن الذي بمسي فيه البعض يساريا ويصبح يمينا، وبمسي يمينا ويصبح يساريا .. ومع ذلك تظل نقطة القلب في لوحة الرماية أمام كل منهم .. هو جماعة الإخوان المسلمين.

نفترض أننا لو تجاهلنا كل ذلك وبعد هذه العقود الطويلة من وجود الجماعة واستمرار وضعها في مكان القصف والرماية المستمرين، فإننا نسأل الجميع هذه الأسئلة:

**أولاً:** هل لو استجابت الجماعة لرأي البعض بأن تقصر عملها على العمل الدعوي فقط، أو أن تقوم بحل تنظيمها لتريح وتستريح، وترحم الأنظمة وحلاوزتها من إثم التنكيل والتعذيب وحتى القتل لأفرادها؟ .. فهل ترجع الغالبية العظمى من الأمة الإسلامية بعدها عن قناعتها بأن الإسلام دين ودولة؟

وهل هناك ضمانات بنجاح خطة الأنظمة في تغييب جماعة الإخوان المسلمين من مصر ومن كثير من البلاد العربية والإسلامية في إنهاء الفكرة تماما؟ فتصبح مقولة لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، أو دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله هو نهج الأمة الإسلامية الراشد؟!

**ثانياً:** ويعقب هذا السؤال سؤال آخر نعتبره من خارج المقرر السياسي المفروض على ساحاتنا .. السؤال يقول لماذا فقط يقوم أناس من بني جلدتنا بجعل هدفهم في هذه الحياة الدنيا هو حث المسلمين على فصل الدين عن الدنيا، ولا يفعلون ذلك مع أتباع الديانات السماوية الأخرى .. خصوصاً وقد أصبح ربط الدين بالسياسة لدى زعماء هذه الديانات ورعاياها من أسس الحياة الحديثة؟!

**ثالثاً:** ماذا لو غابت جماعة الإخوان المسلمين من مصر ومن الكثير من بلادنا العربية والإسلامية .. فهل ستحل على هذه البلاد نعمة الديمقراطية كما حلت على منظومة الاتحاد السوفييتي السابق وبلاد إفريقية وينتهي سلوك التزوير والقتل خارج القانون وسحل القضاة في الشارع، ويتم التوزيع العادل للثروة وتداول السلطة؟!

وإذا كانت الأنظمة تستخدم وجود الإخوان المسلمين كفضاعة تهدم مصالح الداعمين لها في الخارج، فما بال باقي القوى السياسية الناعمة التي إذا تجاوزت ما هو مرسوم لها في العمل يتم قمعها أو تفجيرها من داخلها .. وتظل نفس الأنظمة قائمة ومستمرة مؤدية نفس الدور الذي لم يعد خافياً؟!

**رابعاً:** لماذا فقط جماعة الإخوان المسلمين هي التي تحوز على ما يقرب من المائة بالمائة من حديث عن وجود أزمات في داخلها .. إدارية وتربوية وهيكلية وتلفيق وحذر من الحسم والاختيار ووجود وخوف من التجديد وانفراد القيادة بالقرار الذي يؤدي بالأفراد إلى التواكلية وتوريث الاستبداد والحمول والركود وعدم الفاعلية والهامشية .. ثم استمرار الحديث عن السرية والعلنية والسمع والطاعة ومفهوم الجاهلية .. والقبطية؟!

وإذا كانت الجماعة وكما تعترف بنفسها بأنها كيان بشري يخطئ ويصيب، وأما لم تصف نفسها منذ نشأتها بأنها هي التي تمثل الإسلام وتصر على أنها جماعة من جماعات المسلمين، وأن أصول الفهم عندها عشرون منها النص على أن (لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين ... فكيف تتحول هكذا (!!!) وبشكل كامل لدى هؤلاء وكما تنتهي أحاديثهم إلى كيان شيطاني في مواجهة كيانات ملائكية تحتكر الحديث باسم الدين .. وأقامت الخير ونشرت الفضيلة والحجة والإنصاف بين الناس وحررت الأوطان وحققت لشعوبها العزة والاستقلال والسلاح ولقمة العيش!!!

**خامساً:** إذا كانت جماعة الإخوان المسلمين بهذا السوء الذي تنهال به أحاديث المنتديات، ومع استمرار قمع الأنظمة الكفيل وحده (لولا حول الله وقوته) للقضاء عليها، فلماذا استمرت 82 عاماً ولم ينفذ سامرها ويذهب كل فرد إلى حاله أو إلى طريق آخر بدلاً من أن تتوالى فيها الأجيال ويثبت للجميع أن نسبة الخارج منها لا تذكر إلى جانب الداخل إليها، وهي جماعة لم تتول سلطة في يوم من الأيام وقمعت الناس، ولا تملك على أي فرد فيها غير ما يعطيه من نفسه طوعاً وتقرباً إلى الله سبحانه بعمله؟.

ولماذا لا يريد البعض التماس العذر لها وأخذ طاقات البشر في الاعتبار في مواجهة ما يتعرضون له من محن .. ومع ذلك تتحامل الجماعة على آلامها وتصبر على بلائها وتحاول أن تستمر في طريقها وأحياناً تسير بسير أضعفها (كنص وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه) لتظل محافظة على صف متراس قد لا يناسب من يضيق ببطء سيره فيتقدم أو من يضيره سرعة هذا السير فيتأخر .. ولا تعتبر الجماعة هذا نقص فيها طالما أن الأمر لم يخرج عما تعارف عليه أصحاب الوفاء .. لأن ساحة العمل للإسلام والأوطان تسع الجميع؟!.

أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابة من الأطراف الأخرى، قد تملك جماعة الإخوان المسلمين الإجابة عنها .. ولكننا والتزاما بمنهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى نعلم أن من تكاليف الدعوة إليه الصبر على ما تسببه من أذى ليكون صبرا بالله عز وجل (**وما صبرك إلا بالله**) (النحل) .. وليكون صبرا مع الله عز وجل محبة له سبحانه وإرادة وجهه وليكون دوران العبد مع مراده منه ومع أحكامه يتوجه معها أينما توجهت .. كما يقول الصالحون والعباد ممن سبقونا على الطريق.

وقبل أن نقول لماذا نحن ولماذا إصرارنا على أن نكون مثلما بدأنا إلى أن يشاء الله رغم ما يصّبه الغير علينا صبا .. فإننا نعلم وكما ذكر إمامنا الشهيد في "رسالة دعوتنا" أن الناس أماننا واحد من أربعة:

**مؤمن** آمن بدعوتنا وصدّق بقولنا وأعجب بمبادئنا. ورأى فيها خيرا اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده. فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا. فلا معنى لإيمان لا يتبعه عمل. ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها.

**متردد** لم يستتب له وجه الحق. ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة. فهذا نتركه لتردده ليقراً عنا ويطالع كتاباتنا. ويتعرف إلى إخواننا فسيطمن بعد ذلك إن شاء الله.

**نفعي** فنقول له ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله عز وجل إن أخلصت، والجنة إن علم فيك خيرا. شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا.

**متحامل** ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه. فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القائم. وشعارنا معه ما أرسدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**).

### ما تغفله أحاديث المنتديات

في ذلك الثلث الأول من القرن الميلادي العشرين وما تبعه من سنين لم تتجاوز العقدين وحتى يوم أن سالت دماء الشهيد حسن البنا على أرض العاصمة المصرية بأيدي نظام الدولة كلها ومن خلفها شياطين الإنس والجن .. في ذلك الزمان لم تكن ساحة العمل للإسلام والدعوة إليه خالية، ولا كانت ساحة العمل الوطني والسياسي فارغة، بل كانت الساحتان مزدحمتان بالعاملين الجادين لما يعتقدون أنه الصحيح حسب مناهجهم وكان فيها أيضا غيرهم، ولم يستطع أصحاب المنافع بدعم داخلي وخارجي إبطال أي من المسارات الجادة وكل ما كان يستطيعونه هو التعويق أو حرفه عن مساره، وكان الالتحاق بأي فصيل سهل ميسر، فالشعارات الجاذبة كثيرة والتيسيرات الخدمية والمالية وبريق السلطة أيضا لم يكن خفيا وكان براقا جاذبا في مجتمع يعاني العوز وطبقات أُقيمت حولها أسوار حجبت عنها التجديد في كل شيء وحتى لو كان العودة إلى صحيح العبادة.

وفي هذه الفترة ومع أحداث ساخنة داخل مصر وخارجها نشأت جماعة الإخوان المسلمين وكان اختيار الأفراد لها وانضمامهم إليها هو تحدٍ جديد واجه الجميع فتكاتف ضدها كل القوى، ومن هنا نضجت الجماعة والتصق أعضاؤها بها لا لمعسول كلام المؤسس ولا لكاريزمته، ولا لمنصب دنيوي أو عصبية عائلية يتمتع بها، ولكنه استطاع أن يقرب إلى أفهام الجميع. من فيهم العامل البسيط والثقّف المتعلم مفاهيم الإسلام التي يراها الأحق بالاتباع واستعرضها في رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس" فتحدث عن:

1- غاية الحياة في القرآن الكريم باعتبارها أصل والأعمال فروع لها.

2- مصادر هذه الغاية.

3- موقع العمل السياسي.

4- ركائز القومية وعالميتها.

5- مصادر القوة.

6- مهمة المسلمين.

ولا ينكر أحد أنه لم يكن لحسن البنا تأثيره كأبي قائد أو زعيم أو مفكر في إلهاب حماس من سار معه، ولكنه اختار لقب المرشد لإخوانه وجماعته ليكرس في نفوسهم أن الطريق الذي يسلكونه لا قائد فيه ولا زعيم غير صاحب الرسالة الأولى التي جاءت من السماء وهو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقينا فإن أكبر ما يتغافل عنه من لا نطلب لهم إلا الخير أن الأمة كلها موقوفة أمام نص قرآني واضح جاء في سورة آل عمران يقول: **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** وقطعا للجدال فإن المعروف هنا والمنكر المذكورين في الآية الكريمة ليسا بالتأكيد ما تنص عليه الأفكار والأيدولوجيات من ماركسية وعلمانية، وإذا أراد أحد التحلل من التكليف فهو شأنه، ولكننا في جماعة الإخوان المسلمين قد عاهدنا الله على القيام به ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ويبقى تحذير إلهي آخر أمام جماعة الإخوان المسلمون وهي مقدمة على رأس مائة سنة جديدة بعد أن شرفت برفع راية تجديد الدين مع مرشدنا الأول الذي لم ينشئ مسجدا ضاررا ينافس فيه جماعة أو هيئة تعمل لنفس برامجه، أو ينشئ مذهبا فقهيا جديدا يتميز به عن باقي المذاهب الموجودة وعمل على أن تجتمع جميعها تحت الراية التي لا تفرق وهي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا التحذير يأتي في القرآن الكريم وفي الآية الكريمة **(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)** (محمد: 38).

### الطريق والاجتهادات فيه

أعجب ما سيق بحق جماعة الإخوان المسلمين من نقد هو تقييم حركتهم وبرامجهم وأهدافهم وفق مفاهيم بعض الكتاب الفكرية والأيدولوجية، كما جاء من بعض الكتاب الذين تأثروا بالأيدولوجية الماركسية عندما كانت في ذروة لمعائها فقام عمل الجماعة على مقاييس البرجوازية الصغيرة التي تحركت إبان ثورة 1919م ثم أوصلتها مفاهيمها (كما قال عام 1952) إلى مأزق من الناحية السياسية والفكرية، وقد يأتي التقييم أو النقد أو المطالبة بالإصلاح وكأن الجماعة تعمل بعيدا عن أعين الرصد والحصار، ولا يعلم الكثيرون أن المسافة بين باب بيت أحد أفرادها وباب بيت جاره الملاصق له تماما قد تكون في بعض الأحيان أبعد من المسافة بين واشنطن وبكين، وهذا العجز عن فهم حركة وأهداف ومبادئ جماعة الإخوان المسلمين تجلي بصورة أخرى عندما قصرت أحاديث المنتديات قديما وحديثا عن استيعاب المحيط الذي تتحرك فيه الجماعة وعن تفاعلاتها هي كجسد حي عندما أحاطت بها الأسوار المضادة لها وعملت على أن تظل أسيرة هذه الأسوار لا تتجاوزها حتى تنطفئ نيرانها أو تأكل بعضها خصوصا وأن عنصر الشباب فيها كان الغالب مع تنوع ثقافي وطبقي كان كفيلا حسب مقاييس الآخرين بإيجاد صراعات طبقية أو فكرية تنسف الجماعة من داخلها .. ومع وجود قيادة شابة تخوض العمل الوطني السياسي والديني دون تكريس واعتماد من المؤسسات المعتمدة في المجتمع، فإن الظن كان أكيد لديهم بأن خططهم التي رسموها لإهلاء الجماعة كفيلا بتحقيق ما أرادوه.

ويتكلم التاريخ أن فضل الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه مع باقي أدوات النصر التي يسلكها المجاهدون في سبيله هو العاصم من مكر البشر، ولأن أفراد جماعة الإخوان المسلمين أيضا من البشر فقد كانت لهم في ساحة العمل التي يشاركون فيها غيرهم اجتهادات فيما لا نص فيه شرعي يمس العقيدة والدين (معنى نظام الحياة وفق كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، رآها البعض صائبة ورآها الآخرون أنها غير ذلك، ولكنها وفي النهاية لم تحدش براءة القصد لدى الجماعة التي لا ينكرها أحد ولم تتلبس بأفة من آفات العمل العام كالمال الحرام والاستفادة من السلطة وخيانة العهد والاستقواء بالأجنبي والتفريق بين المواطنين والتخلي عن قضايا الأمة والتولي يوم أن اشتدت الحن وطالت طوال أكثر من نصف عمرها والاهتمام بالعنف والإرهاب الذي يبررون به رفع المشانق.

في زمن لم يكن فيه ميزان العدالة المعلق على منصة القضاء في يد رجال أمن النظم ومثقي السلطة، أصدرت محكمة جنايات القاهرة في 17 / 3 / 1950م في القضية التي أطلقوا عليها اسم (قضية السيارة الجيب) وكان متهما فيها المرشد الأسبق الأستاذ مصطفى مشهور يرحمه الله جاء في حيثيات الحكم عن النظام الخاص في الجماعة (إنه جهاز تدريب يتمشى مع أهداف المقررة لتحرير وادي النيل وجميع البلاد الإسلامية، وإنه لم يتضمن ولم يدع إلى ارتكاب جريمة .. وأن المحكمة تدين بالتقدير لروح البذل والفداء الذي قدمه الإخوان المسلمون في فلسطين، الأمر الذي شهد به أمام المحكمة كل من اللواء أحمد بك المواوي القائد الأول لحملة فلسطين، واللواء أحمد فؤاد صادق باشا الذي خلفه، بما قام به هؤلاء المتطوعون من أعمال دلت على بسالتهم وحسن مراهم وسمو روحهم المعنوية وإلمامهم بفنون حرب العصابات).

وبعد أكثر من خمسين عاما يأتي في بعض أحاديث المنتديات عن المرشد الراحل وهو بين يدي ربه الآن وبعد أن لم يعد في الجماعة نظام خاص أنه همس في منتدى أحدهم أنه يدير تنظيما عسكريا للاستيلاء على الوطن هذه المرة!!

وعودة إلى صاحب كتاب (في الشعر الجاهلي) عن أسبوع شباب الجامعات لصاحبه الذي لم يكن على قناعة بأن سيدنا إبراهيم هو الذي وضع قواعد البيت الحرام كما جاء في القرآن فهل لنا أن نقول عن حديث المنتديات عن الإخوان المسلمين .. أنه قد تشابحت أغراضه مع صاحب الكتاب الأول؟!.